الصباح الإسلامية
AL-SABAH
www.alsabahpress.com Alsabah Media
No. 5006 | الخميس | 14 ربيع الآخر 1446 هـ | 17 أكتوبر 2024 م | السنة السابعة عشرة

انتقل بالمُسلمين من حالة الفقر إلى الرخاء الاقتصادي

خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز

هو عُمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب الأموي، كان والدهُ عبد العزيز من خيار أمراء بني أُميّة، وأمّا أمّه فهي أُمّ عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

نشأته

وُلد عُمر بن عبد العزيز في المدينة، وكان كثير التّردُد على عبد الله بن عُمر -رضي الله عنه-؛ لمحبته له، وكثرة تعلّقه به، وكان يقول لأمه أنّه يريدُ أن يُصبح مثل خاله عَبدُ اللهَ، وكان مولده في السّنة الواحدة والستين للهجرة، ونشأ في نعيم ورفاهيّة، حيثُ كان أبَوه أميراً على مصر، وعمه الخليفةُ عبد الملك، وهذا لم يمنعه من حفظه للقُرآن، وتلقّيه للعلم على يد أكابر الصّحابة الكرام؛ كعُبادة بن الصّامت، وعبد الله بن عُمر -رضي الله عنهما-.

كما أنّه تلقّى العلم من كبار التّابعين؛ كسعيد بن المُسيّب، بالإضافة إلى تعلّمه اللّغة العربية، ومما زاد في استقامته ودينه تَعلّقه بعمّ أُمّه عبد الله بن عُمر -رضي الله عنه-، وذات يوم بعَثَ أبَوه إلى أُمّه أن تَحضر معه إلى مصر، فلما عزمت علىَ السّفر مع ابنها عُمر جاءها عبد الله بن عُمر -رضي الله عنه- واستأذنها في بقاء ابنها معه، فوافقت على طلبه وأبقتهُ معه، ولما وصلت إلى زوجها وأخبرتهُ بذلك سُرّ وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان ليجعل له في كُلّ شهر ألف دينار.

وَقد نّشأ عُمر في المدينة بين أخواله، وتعلّم كثيراً من الصّحابة الكرام وتأثّر بهم، فكان كثير البُكاء من خشية الله -تعالى-، وخاصّة عند قراءته للقُرآن، كما تأثر بوالده في طلب الحديث، وكان يذهب إلى العُلماء والفُقهاء؛ ليتعلّم منهم، مما دفعهُ إلى ترك صحبة أقرانه من الشباب، وكان يُكثر الجُلوس في مجالس العلم، ولا يُهدر وقته إلا في القراءة أو الكتابة أو المُذاكرة، مما أكسبهُ الذكاء والعلم والبصيرة والحكمة والفقه، وكان لأُسرته الفضل الكبير في تكوين شخصيته وعلمه، بالإضافة إلى إقباله على العلم مُنذ صَغره، وتأثره ببيئته في المدينةَ، حيث عاش في مُجتمعٍ يسوَدهُ التّقوى والصّلاحَ.

صفاته

كان عُمر بن عبد العزيز من النّاحية الجسميّة أو الخَلقيّة نحيف الجسم، أسمرٌ، رقيق الوجه، حسن اللحية، غائر العينين، وكان في جبهته أثر نفحة من دابة؛ فلذلك كان يُسمى أشجّ بني أُميّة، وعليه شَيب، وقيل: إنّه كان أبيضاً، وأمّا صفاتهُ الخُلقيّة؛ فقد كان عُمر صاحب مكارم وأخلاق حسنة، وكان راسخ التّقوى والثبات، بعيداً عن طيش الشباب، وفتن الدُنيا، قريباً من تذكّر الآخرة، ربّانيّاً في جميع مراحل حياتّه، مُلتزماً بالحق واتّباع الدين، يحترم ويُكرَم العُلماء فيرفع من منزلتهم وقدرهم، وكان كثير المُراقبة لنفسه والبكاء من خشية الله -تعالى-، زاهداً وقنوعاً، فكان يعيش حياة الكفاف، ويرضى ويقنع بالقليل في دنياه.

زوجاته وأولاده

تزوّج عُمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك، وأنجبت له إسحاق، ويعقوب، وموسى، كما تزوّج بلميس بنت علي بن الحارث الحارثيّة، وأنجب منها عبد الله، وبكر، وأُمّ عمّار، وتزوج بأُمّ عثمان بنت شعيب بن زبان الأصبغ، وأنجب منها إبراهيم، وقيل إنّه كان له أَمَة وأنجب منها عبد الملك، والوليد، وعاصم، ويزيد، وعبد الله، وعبد العزيز، ورزبان، وآمنة، وأُمّ عبد الله.

إمارة المدينة

تولّى عُمر بن عبد العزيز إمارة المدينة في عهد الوليد، وكان ذلك في السّنة السّادسة والثّمانين من الهجرة، وبقي إلى السّنة الثّالثة والتسعين للهجرة، وقيل: تولّى إمارة المدينة في السّنة السّابعة والثّمانين، وكان عادلا، واستعان بعشرة من أفاضل المَدينة في حُكمه؛ ليكونوا أنصاراً له في الحقّ، وقام بتوسعة المسجد النّبويّ، ثمّ اتّسعت ولايتهُ فصار والياً على الحجاز، ونشر الأمن والعدل، وبدأ بحفر الآبار والطُرق، وأعاد الأموال العامة إلى كرامتها وحُرمتها، وفتح المدينة لمن كان هارباً من ظلم الطغاة.

خلافة المسلمين

لمّا مرض سُليمان بن عبد الملك طلب منه مَنْ حوله بالخلافة لعُمر بن عبد العزيز، فأوصى بالخلافة له من بعده، وأشهد عليها من كان عنده، فلمّا توفي؛ أصبح عُمر أميراً للمؤمنين، وصعد المنبر وقال: «إن هذا لأمر ما سألته الله قط»، لكنّ عُمر بخبرته في ولاية المدينة قُرابة السبع سنوات اكتسب المهارة في ولاية الدّولة، واشترط ثلاثة شروط للولاية، وهي:

- أنْ يعمل بالحق والعدل بين النّاس، وأن لا يظلم أحداً.
- أن لا يأخذ من بيت مال المُسلمين ويعطي إلا من كان له حق.
- أن يُسمح له بالحج في أول سنةٍ من تولّيه الخلافة وأن يبقى في المدينة.

وافق الجميع على هذه الشّروط، فأصبح خليفةً للمُسلمين، وعيّن عشرة من فُقهاء المدينة للشورى، وحرص على أموال الدولة، وكان دقيقاً في اختيار ولاته على الأمصار بناءً على معرفته الكاملة بأخلاقهم وقُدراتهم، وكان يُراقبُ أعمالهم ويُتابعها، ومَنَعهم من الأعمال الأُخرى؛ كالتّجارة، وأعطاهم من المال ما يكفيهم ويُغنيهم عن طلب الرّزق، واكتفى هو بالحياة الخشنة؛ استشعاراً منه بحجم المسؤولية التي أُوكلت إليه، فكان يُفكّر بالجائع والمريض والمظلوم، الأمر الذي جعل منه شخصاً نحيف الجسم، خشن اليد.

وذات يوم أراد النّوم، فجاءهُ ابنه يسأله عمّا يُريدُ فعله، فأجابه: أيّ بني أريد أن أغفو قليلاً، فلم تبق في جسدي طاقة، فقال له: أتنام قبل أن تَردّ المظالم؟ فقام مع ابنه، وأعانه على ذلك، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، وكانت مُدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان حاكماً عادلاً، ورَعاً، لا تأخذهُ في الله -تعالى- لومة لائم، وكانت مُبايعتهُ بالخلافة سنة إحدى وستين.

إنجازاته

كان لعُمر بن عبد العزيز الكثير من الإنجازات في خلافته، منها:

- الإصلاحات التّنمويّة؛ من خلال حفظ الأمن، والقضاء على الفتن، وإعادة توزيع الثّروة والدّخل، وزيادة الإنفاق على الفُقراء والمحرومين.
- الإصلاح الثّقافيّ، من خلال تدوين الحديث الشّريف، وهي مرحلة كتابة الحديث في كُتب وتصانيف، وأصدر إلى بعض الأئمة والعُلماء بجمع سُنّة وأحاديثَ النبيّ -عليه الصّلاةُ والسّلام-، كما حرص على نشر العلم بين الرّعية، وتفقيههم في دينهم، وتعريفهم بالسُنة.
- الاهتمام بالدّعوة إلى الإسلام، وتشجيع غير المُسلمين في الدُخول في الإسلام، وإعطائهم من سهم المؤلفة قُلوبهم.
- التطور الإداريّ؛ من خلال إعطاء عُمّاله ما يُغنيهم عن الحاجة؛ لأجل التّفرّغ لأعمال الدولة، وانتقلَ بالمُسلمين من حالة الفقر إلى الرخاء الاقتصاديّ، كما استطاعَ تحقيق الوئام الاجتماعيّ؛ فجلب الرّخاء والسّلام بين جميع فئات المُجتمع.

حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة

بينت الشريعة الإسلامية عدداً من حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، نصت عليها الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وفيما يأتي بيان ذلك:

دمجهم في المجتمع

وجهت الشريعة الإسلامية إلى مخالطة ومجالسة ذوي الاحتياجات، وعدم النفور منهم وتركهم يعيشون الوحدة والنبذ؛ ومن ذلك ما جاء في نص القرآن الكريم، حيث قال -تعالى-:

(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا).

احترامهم وتقديرهم

يوصي القرآن الكريم إلى عدم السخرية، أو الانتقاص من أحد، أو التنابز بالألقاب، أو الاستغابة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وأولى الناس بذلك ذوي الاحتياجات الخاصة؛ لأنهم الأكثر عرضة لهذا الأمر.

قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

حسن المعاملة وتلبية مطالبهم

حث الإسلام على حسن التعامل مع جميع الأفراد، وركز على حسن التعامل مع أهل الابتلاءات كذوي الاحتياجات الخاصة؛ لئلا يستضعفوا بإعاقاتهم، ولعظمة هذا الأمر فقد عاتب الله -تبارك وتعالى- نبيه الكريم عندما عبس بوجه ابن أم مكتوم الضرير! بل ونزلت سورة كاملة تخلد ذلك سماها المولى بسورة «عبس»، قال -تعالى-: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ).

وبذلك يتبين لنا أن قضاء حوائج ذوي الاحتياجات الخاصة مقدم على قضاء حوائج الآخرين.

استثناءهم من بعض التكاليف

إن من رحمة الله -عز وجل- بذوي الاحتياجات الخاصة، أن استثناهم من بعض التكاليف؛ تخفيفاً عليهم ورحمة بهم؛ نظراً لحالهم، أو عدم قدرتهم، أو صعوبة قيامهم بهذه التكاليف، ومع ذلك لا ينقص من أجرهم شيء، قال -تعالى-: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا).

حقوق أخرى

حفظ الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة حقوقاً أخرى -فضلاً عما ذكرناه سابقاً-؛ كحقهم في الحياة ابتداءً، والحرية، والتعليم، والكسب والتصرف والتملك، وحقهم في حفظ الكرامة، والزواج والإنجاب، وحقهم في العمل، وتوفي البيئة المناسبة والمراعية لأحوالهم في أماكن الدراسة، وأماكن العمل والسفر والتنقل.

مواقف لذوي الاحتياجات الخاصة

ورد في القرآن الكريم عدداً من القصص التي تحدثت عن أصحاب الابتلاءات، وما كان منهم من صبر واحتساب، وما كان نتيجة ذلك عند المولى -عز وجل-؛ نذكر منها:

- موقف عمرو بن الجموح وصبره على الابتلاء بالعرج : كان عمرو بن الجموح شديد العرج، وكان له أولاد يخرجون للغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما جاءت غزو أحد أراد الاستعداد للخروج مع المسلمين لكن أولاده منعوه من ذلك لإصابته، وأن الله قد عفا عن أصحاب الأعذار؛ فذهب إلى النبي واشتكى ذلك، فسمح له بالخروج واستشهد يوم أحد.
- موقف ثابت بن قيس وصبره على الابتلاء بالصمم : كان ثابت بن قيس مصاباً بصمم في أذنيه؛ ولما نزلت الآية الكريمة من سورة الحجرات: (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ)، تغير حاله وجلس يبكي حزيناً؛ فلما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- سأله عن حاله؛ فقال: «أنا صيت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ»، فبشره النبي بأنه سيعيش حميداً ويموت شهيداً؛ ثم يدخل الجنة بعدها، ففرح واستبشر.